نقش الزخارف العمائرية على التحف المعدنية في الجزائر خلال الفترة العثمانية (النحاس)

أ.د/خديجة نشار•

الملخص

عرفت الجزائر خلال الحكم العثماني ما بين القرن ١٦و ١٨م العديد من الصناعات الحرفية التي ظهرت في الجزائر العاصمة، وانتشرت في المدن الأخرى شرقا وغربا. تطورت صناعة الأواني المعدنية ومنها النحاسية مع كثرة الطلب من جهة أخرى.

كما ظهرت العديد من التأثيرات الفنية على هذه الصناعة من حيث العناصر والمواضيع الزخرفية، ونذكر منها نقش العناصر العمائرية على الصينيات النحاسية كنموذجا.

الكلمات المفتاحية:

نحاس، زخرفة، عمارة دينية ومدنية، عناصر معمارية، مغرب أوسط، فترة عثمانية .

• معهد الآثار جامعة الجزائر ٢٠. أبو القاسم سعد الله nechardz@yahoo.fr

المنارة للاستشارات
www.

عرفت الجزائر خلال الفترة العثمانية ثلاثة مراحل من الحكم والمتمثلة في:

-المرحلة الأولى فترة البايلرباي(أي أمير الأمراء): بويع فيها خير الدين بربروس خليفة لأخيه عروج بعد قتله في مدينة تلمسان، واتخذ الجزائر عاصمة للدولة الجزائرية، واستمر استعمال هذا اللقب من ٩٢٥-٩٩٧ه/١٥١٦-١٥٨٨م.

-أما المرحلة الثانية أي فترة الباشاوات:٩٩٧-١٠٧٠ه/ ١٥٨٨-١٦٥٩م. عرفت فيها البلاد استقرارا سياسي مما أدى إلى ظهور نشاط اقتصادي وتبادلات تجارية بين الدول الأوروبية. واستقرار إجتماعي سمح بتطور المجتمع.

-المرحلة الثالثة وهي فترة الأغوات:١٠٧٠-١٠٨٢ه/١٦٥٩-١٦٧١م، حدثت فيها اضطرابات في الحكم وفوضى في الشؤون الإدارية.

-أما المرحلة الرابعة والأخيرة ألا وهي فترة الدايات ١٠٨٢-١٢٤٦ه/١٦٧١-١٨٣٠م، وهي أطول مرحلة في الحكم العثماني لهذا النظام، عرفت البلاد من خلاله ازدهارا كبيرا ناتجا عن استقرار الأمور السياسية والإقتصادية والإجتماعية، حيث أصبحت السيادة كاملة للحكام دون الرجوع إلى الباب العالي.[١]

كان للجزائر في هذه الفترة وضعا اجتماعيا مميزا، أصبح يتكون من مجموعات سكانية نذكر منها: جماعة الحضر، الأندلسيين، الأتراك، وعناصر غير إسلامية منها اليهود والنصارى.[٢]

أدى الإستقرار إلى ظهور حركة تجارية وصناعية، شملت كل الحرف وتميزت بحسن التنظيم والتنوع والإتقان وعلى هذا أصبحت بعض المدن منها: الجزائر، قسنطينة، تلمسان وغيرها، تعجّ بالصنائع والحرفيين.[٣]

تأخذ مدينة الجزائر الصدارة في مجال الصناعات الحرفية، تليها مدينة قسنطينة شرقا. بينما وهران وتلمسان غربا ظلتا تحت الحكم الإسباني مما أدى إلى ضعفهم في هذا المجال في تلك الفترة.[٤]

كانت الحرفة داخل المدن منظمة وكان لكل حرفة شارع أو سوق خاص. وعلى رأس كل واحدة منها أمين يقوم بمراقبة جميع المسائل الخاصة بالحرفة.[٥]

-حضيت صناعة المعادن بالرعاية والتشجيع من طرف الحكام في الفترة العثمانية وهذا ما يظهر جليا على كمية التحف التي تزخر بها المتاحف الجزائرية.

---

[١] ناصر الدين سعيدوني والمهدي شيخ بوعبدلي..الجزائر في التاريخ...،ص١٥.
[٢] أبوقاسم..تاريخ الجزائر...،ص١٤٢.
[٣] ناصر الدين سعيدوني وآخرون. الجزائر...،ص٦١.

[4] MARçAIS ,G, L'art...,p144.
[5] KLEIN,H, Feillets…,p54.

المنارة للاستشارات
www.

تعتبر مدينتي الجزائر وقسنطينة من أهم المراكز الصناعية للنحاسيات حيث كان لهذه الحرفة شارع خاص. يطلق عليه شارع النحاسين أو زنقة الصفارين.(أنظر الخريطة رقم-1-).

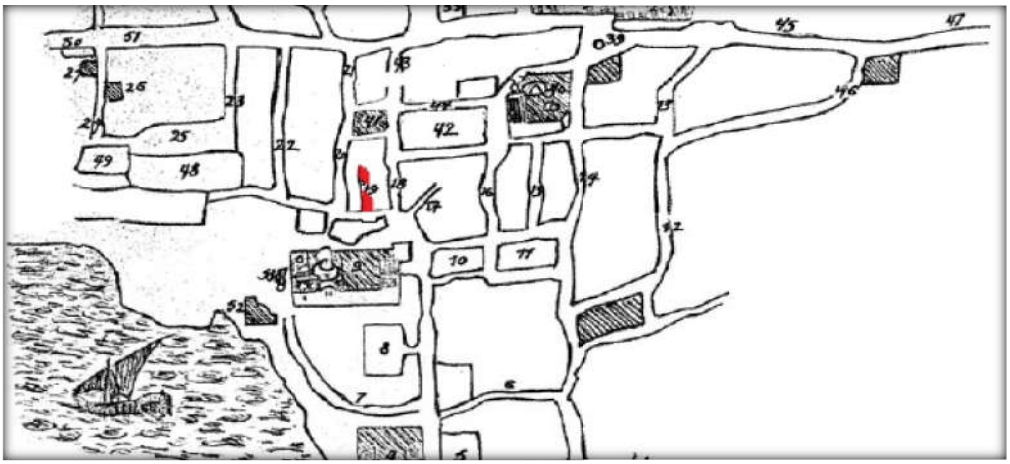

مخطط توضيحي لشارع النحاسين بقصبة مدينة الجزائر

ظهرت حركة واسعة لهذه الصناعة في الفترة العثمانية في الجزائر، التي تعد من بين البلدان التي تزخر بالثروات المعدنية، يذكر البكري في وصفه لبلاد كتامة:"وبلاد كتامة صخرا اللازورد والجيد، ومعادن النحاس والحديد..."[٦]

هذا يدل على أن المغرب كانت له صناعة من قبل مجيء العثمانيين للجزائر، والدليل على ذلك وجود تحفة بالمتحف الوطني أحمد زبانة بوهران وهي عبارة عن مقلمة ذات صناعة متقنة يعود تاريخها إلى القرن الخامس عشر ميلادي.

انتشرت مناجم معدن النحاس في العديد من المدن الجزائرية منها: منطقة جبل فرنان الواقع في جنوب غرب مدينة الجزائر.[٧]

القالة (منجم جبل عقيل) وبالقرب من مدينة القالة (منجم بكاف الطبول) ومناجم قرب مدينة وهران وفي كل من جبل الونزة بتبسة وجبل مزوزية شرق مكسانية وجبل سيدي رغيس شمال غرب عين البيضاء وجيجل ومغنية.[٨]

ومنجم عين بربار سفوح إيدوغ الشمالية في مدينة عنابة.[٩]

---

[٦] البكري. كتاب المغرب...،ص١٤٥.

[7] SHAW,Th, voyage…p03.

[8] GSELL, st. Vieilles exploitations…, P03.

[٩] ناصر الدين سعيدوني.دراسات وأبحاث...،ص٢١٥.

المنارة للاستشارات
www.

رغم تعدد المناجم ووفرة المادة الخام في الجزائر، إلا أن الدولة لجأت إلى إستيراد مادة النحاس، وذلك راجع إلى التكاليف الباهضة التي تستلزمهاالدولة لاستخراجها واستغلالها. وكانت تستورد الدولة العثمانية الأواني النحاسية بأشكالها وأحجامها المختلفة لتلبية أعراضها.[١٠]

نلاحظ وجود عدّة أنواع من النحاس: منها النحاس الأحمر الذي يتميز بالطراوة وسهولة تشكيله وطرقه، والنحاس الأصفر وهو عبارة عن مزيج من النحاس الأحمر والزنك يتميز بالطراوة وتحمله لدرجة حرارة عالية ،مما أدى استعماله لصناعة الأواني المنزلية وبعض التحف التزيينية.[١١]

والنحاس الأصفر هو مزيج من النحاس الأحمر مع مادة الزنك، صنعت منه تحف فنية تزيينية.[١٢]

تعتبر الأواني النحاسية أكثر ما وصل إلينا من التحف التي نبحث من عمليات الضرر والسرقة والنهب مقارنة بالتحف الفضية والذهبية.

توجد هذه المجموعات من الصناعات النحاسية بمختلف المتاحف الجزائرية، نذكر منها المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية، والمتحف العمومي الوطني للفنون والتقاليد الشعبية بمدينة الجزائر ومتحف أحمد زبانة بوهران ومتحف سيرتا بقسنطينة.

وقع اختيارنا في هذا البحث على مجموعة من النحاسيات ذات أحجام ومقاسات مختلفة، نقشت عليها زخارف بتقنية الحز والتطريق.

إن النماذج التي احتوت على الزخارف العمائرية ذات أشكال بسيطة عبارة عن صينيات مسطحة بها حافة قليلة الإرتفاع، تقدم عليها واجبات الطعام أو المشروبات. تتراوح مقاسات قطرها ما بين ٢٢،٥ سم إلى ١م.

[10] Venture des paradis. Opcit. P53.
[11] Venture des paradis . Opcit. P53

[١٢] شريفة طيان. الفنون التطبيقية...ص٧٧

المنارة للاستشارات
www.

النموذج الأول:

رقم الجرد:٩٧-٠٨-٠٥ (النتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية)

القطر: ١متر

نقشت على الصينية الأولى زخارف هندسية نباتية، وعمائرية بواسطة الحز والتطريق.

تتمثل الزخارف العمائرية في مسجد ومئذنتين وضريح، وتتكرر هذه العناصر ثلاث مرات بالإضافة إلى وجود شجرة النخيل المثمرة وما يشبه شجرة السرو محورة عن الطبيعة.

يحتوي المسجد على مدخل رئيسي يعلوه طابقين ذو فتحات تغطيهم قبة مركزية نصف كروية ذات اخاديد يعلوها هلال.

وعلى جانبي المدخل كتلتين معمايتين تتوسطهما فتحات وتنتهيا بقبة ذات أخاديد مكونة من ثلاثة أجزاء: القاعدة، البدن وقبة كروية الشكل يعلوها هلال.

نقشت مئذنتان منفصلتان عن المسجد في كلتا الجهتين، كل واحدة منها ذات قاعدة مضلعة يعلوها بدن حلزوني الشكل، وجوسق تعلوه قبيبة ذات أخاديد تنتهي بهلال.

أما الأضرحة فتمثلت في مبنى أصغر ينقسم غلى كتلتين يتوسطهما مدخل رئيسي تعلوه شجرة نخيل مثمرة، تعلو كل كتلة قبة ذات أخاديد تنتهي بهلال.

المنارة للاستشارات
www.

عن/ مجموعة نحاسيات المتحف" المصدر والطابع"

المنارة للاستشارات
www.

النموذج الثاني:

رقم الجرد: ٩٧-٠١-٠٥ (المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية)

القطر: ١ متر

تشبه هذه الصينية النموذج الأول، غير أن العناصر العمائرية المتمثلة في المسجد و المآذن والضريح تختلف من حيث تصميمها وعناصرها المعمارية.

نقش المسجد على عدّة مستويات، وما يتميز به المبنى، هو تعدد القباب، منها ذات حجم صغير نصف كروية، تتوسطهم قبة مركزية مفصصة، تنتهي الثلاث قباب العلوية بهلال.

زين المدخل الرئيسي الذي يتوسط المبنى بقبة صغيرة نصف كروية. كما نقشت على واجهة المبنى عدة فتحات منها ذات شكل مربع والأخرى ذات أقواس حدوية.

بينما المئذنة ترتكز على قاعدة مضلعة يعلوها بدن أسطواني وجوسقين تعلوهما قبة صغيرة نصف كروية تنتهي بهلال.

أما الموضوع الثاني يمثل ضريح، يشبه في تصميمه النموذج الأول، ما عدا اختلاف في شكل قباب المبنى النصف كروية التي يعلوها هلال.

المنارة للاستشارات
www.

عن/ مجموعة نحاسيات المتحف "المصدر والطابع"

المنارة للاستشارات
www.

النموذج الثالث:

رقم الجرد: II.M.I.٠٥٢ (المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية)

القطر: ١ متر

نقشت على المساحة المسطحة عدة عناصر منها النباتية والتي تمثل شجرة النخيل وشجرة السرو والمحورتان عن الطبيعة، ومزهرية تنفذ منها باقة من الازهار، وزخرفة عمائرية تمثلت في مبنى ضخم.

يتكون المبنى من كتلة رئيسية تحتوي على عدة طوابق.

الطابق الأرضي يتكون من فتحة رئيسية تمثل مدخل المبنى، يليه الطابق الأول عبارة عن شرفة تزينه مجموعة من الأعمدة. أما الطابق الثاني به فتحة مقوسة، نفذت من كلتا الجهتين سلالم تؤدي إلى الطابق الثالث الذي يتماثل في تصميمه مع الطابق الأرضي.

كما نلاحظ كلتين جانبين أصغر حجما من المبنى الرئيسي، يحتويان على طابقين تعلوهما قبة نصف كروية، يعلوها رأس سهم.

المنارة للاستشارات
www.

عن/ الصناعات المعدنية الإسلامية من خلال مجموعة المتحف الوطني للآثار القديمة

المنارة للاستشارات
www.

النموذج الرابع:

رقم الجرد: ٩٧-١٠-٠٥ (المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية)

القطر: ٣٧ سم

نقشت على هذه الصينية موضوع زخرفي محصور داخل حلقة دائرية. يتوسطها تخطيط لمبنى غير منتظم، تعلوه قبة نصف كروية. نقشت في كلتا الجهتين للمبنى ثلاثة عناصر آدمية ذات سيمات ماغولية هندية، نلاحظ على يمين المبنى أن أحد الأشخاص جالس على ركبتيه يحمل بين يديه عصى او صولجان كأنه صاحب الضريح، بينما شخص ثان بجانبه يحمل على كتفيه غزال كهبة لصاحب الضريح، أما الشخص الثالث واقف على يسار المبنى يشبه في وضعيته الحارس.

نفذت مجموعة من الأغصان والأوراق والأزهار لملأ فراغ المساحة المحيطة بالموضوع الزخرفي الرئيسي. كما نجد عشر جامات تحيط بالموضوع الزخرفي نقشت بالتناوب داخل مساحتها عنصر آدمي وعنصر حيواني. كما تظهر بين كل جامة شجرة السرو.

نفس الموضوع الزخرفي يتكرر على صينية مماثلة لها، غير أن الفنان اقتصر في نقش زخرفتها على الموضوع الرئيسي، ألا وهو مبنى الضريح وما يحيط به من أشخاص.

المنارة للاستشارات
www.

عن/ مجموعة نحاسيات المتحف "المصدر والطابع"

المنارة للاستشارات
www.

النموذج الخامس:

رقم الجرد: ٩٧-٢٢-٠٥ (المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية)

القطر: ٧٨سم

نقشت على مساحة الصينية خمسة مباني بسيطة التخطيط تتمثل في أكشاك، والتي تنتشر بكثرة في العمارة العثمانية بتركيا. يتمثل تخطيط هذه العمارة في مبنى على مستوى مرتفع بواجهته فتحتين كبيرتين. تعلو المبنى قبة نصف كروية، نفذت على مساحتها زخارف شبه كتابية. يتخلل كل مبنى شجرة السرو وما يشبه الجرة.

المنارة للاستشارات
www.

عن/ مجموعة نحاسيات المتحف "المصدر والطابع"

المنارة للاستشارات
www.

نفذت على مساحتها مجموعة من العناصر الزخرفية منها: الهندسية، النباتية، الآدمية، الحيوانية، والمعمارية.

نقشت العناصر الهندسية المتمثلة في الخطوط، الدوائر والمضلعات لتحديد المساحات الزخرفية، ونقشت الزخارف النباتية لمأ الفراغ، أما العناصر الآدمية والحيوانية كمواضيع زخرفية.

بينما العناصر المعمارية نقشت على مساحة أوسع مع العناصر الأخرى المذكورة.

ظهرت هذه الزخارف على المساحات المسطحة للصينيات حيث ساعدت الفنان على نقش المواضيع المعمارية بكل دقة واتقان، وهذا ما يظهر جليا على النماذج المختارة.

أبرز الفنان في نقشه لهذه المعالم(مسجد، ضريح، قصر، كشك)، أهم العناصر منها: الأساسية وأخرى الثانوية. نذكر من بينها تخطيط المبنى الذي يبرز من خلاله الشكل العام، عدد المستويات، ثم الفتحات منها المداخل والنوافذ والفتحات الصماء.

كذلك طريقة التسقيف بقباب ذات أحجام مختلفة المتمثلة في القبة المركزية والقباب الثانوية التي تلحق بها.

بالإضافة إلى طريقة تدعيم وتزيين المبنى بالأعمدة والأقواس ذات مقاسات وأشكال متنوعة.

تختلف العناصر المعمارية من نموذج لآخر وذلك حسب ما جاء في الأمثلة السابقة الذكر.

نلاحظ أن المبنى تعلوه قبة مركزية نصف كروية الشكل، أو ذات أخاديد أو مفصصة تحف بها أنصاف قباب صغيرة. استوحى هذا الطراز في العهد العثماني من تصميم مبنى "آية صوفيا"، ومتأثرا في الوقت نفسه بطراز المساجد السلجوقية في آسيا الصغرى[١٣].

نقشت المآذن محاذية للمساجد، تتكون من قاعدة مضلعة، بدن، جوسق أو جوسقين تعلوهما قبيبة ذات أخاديد متوجة بهلال.

اختلف تخطيطها من مخروطية إلى أسطوانية، وحلزونية أو لولبية الشكل، وهذا ما نلاحظه في طراز العمائر الدينية العثمانية[١٤].

كما نقشت على مساحة هذه العناصر المعمارية زخارف هندسية ونباتية لملأ الفراغ.

أبرزت هذه النقوش تعدد أنواع العقود والأعمدة، منها البسيطة وأخرى مركبة.

---

[١٣] حسن الباشا، الآثار الإسلامية. ص١١١.

[14] KORBENDAU , Y . L'architecture sacrée …PL 27-n194_195. P63.

المنارة للاستشارات
www.

تعتمد الأعمدة على قاعدة، بدن وتاج ذات طراز بسيط أي بدن أسطواني الشكل، بينما نلاحظ أن البعض من العناصر نفذت على شكل سلسلة من الأعمدة الحلزونية أو اللولبية، تشبه بذلك نماذج الأعمدة التي تزين مباني مدينة الجزائر في الفترة العثمانية.

كما كانت تعلو هذه الأعمدة عقود ذات تصاميم مختلفة منها المدببة[١٥] والمفصصة والحدوية.[١٦]

تجدر الإشارة هنا إلى أن مساحة واجهات هذه المباني وما تحتوي عليه من العناصر المعمارية قد زينت بنقوش هندسية ونباتية مختلفة.

لقد أبرز الفنان من خلال نقشه لهذه التحف عناصر زخرفية جد مهمة في العمارة الإسلامية وهي المدنية والدينية، كما استطاع في نفس الوقت أن يلتزم بالقواعد الفنية الزخرفية الإسلامية ألا وهي: عدم وجود البعد الثالث، وذلك بنقش المباني بطريقة مسطحة والتناسق والتوازن والإنسجام، بين كل العناصر المنقوشة على تلك المساحة للتحفة النحاسية.

إن ما جاء به الفنان في هذه النماذج للمباني يتمثل في التأثر بالعمارة العثمانية في كل من تركيا وإيران وبلاد مصر، هذا ما يؤكد أن هذه التحف إما أن تكون مستوردة أو هدايا خاصة.

[15] Ibid .P432
[16] Ibid.P208.

المنارة للاستشارات
www.

قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية:

المصادر:

-البكري(ت.٤٨٠ه)، كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب جزء من أجزاء كتاب المسالك والممالك تقديم دوسلان، الجزائر١٨٥٧.

المراجع:

-أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائرالثقافي-ج١- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر١٩٤٢.

-أحمد رفاعي والآخرون، الصناعات المعدنية الإسلامية من خلال مجموعة المتحف الوطني للآثار القديمة.مطبعة العوساتي، الجزائر، ٢٠٠٧.

-دليلة مطماطي. زهرة حداد، مجموعة نحاسيات المتحف "المصدر والطابع"، متحف الفنون والتقاليد الشعبية، وزارة الثقافة، الجزائر،٢٠٠٦.

-شريفة طيان .الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، دراسة أثرية فنية، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، ٢٠٠٧-٢٠٠٨.

-"زخارف الأشجار والفواكه في النحاسيات الجزائرية خلال الفترة العثمانية"، مجلة الآثار– عدد١١-ص ١٤٧-١٥٥، ٢٠١٤.

-محمد عبد العزيز مرزوق. الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٩٧.

-ناصر الدين سعيدوني. دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،١٩٨٥.

-ناصر الدين سعيدوني والشيخ بوعبدلي المهدي. الجزائر في التاريخ،العهد العثماني-ج٤-المؤسسة الوطنية للكتاب،١٩٨٤.

-يوسف جودت عبد الكريم. الأوضاع الإقتصادية والإجتماعيةفي المغرب خلال القرنين ٣-٩/٥٤-١٠م.دار المطبوعات الجامعية الجزائر ١٩٩٣ .

المنارة للاستشارات

www.

قائمة المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

المصادر:

-KLEIN, H. feuillets d'al Djazair . Alger. 1937.SD.
-PANANTI,F. Relation d'un séjour à Alger, Paris. 1820.
-SHAW, Th. Voyage de monsieur SHAW, La Haye. 1943.
-VENTURE de Paradis. Alger au 18éme siècle, 2éme edition.Bouslama. Tunis .1980.

المراجع:

-AMAMRA,A.A.DRICI Radia. La vie quotidienne à Alger, Ministère de la culture.
- Alger capitale de la culture2007.
-BERQUE,J. Art antique et art musulman en Algérie, SL, 1930.
-CARAYON, G. Le travail artistique du fer et du cuivre en Algérie, Alger .SD.
-CLEVENOT,D, et DEGEORGE,B. Décors d'Islam .Citadelle, Mazenod,1997.
-DEGALLAND,C. Les petits cahiers algériens. Jourdan, Alger, 1900.
-EUDEL, P, Petite métiers algérois. Alger 1901.
-GOLVIN,L. Aspect de l'artisanat en Afrique du nord . PUF. Paris 1957.
-GSELL,S. Les industries d'art indigène en Algérie. Jourdan. Alger 1903.
-GSELL,S. Vieilles exploitations minières dans l'Afrique du Nord. Paris 1928.
-KORBENDAU,Y. L'architecture sacré de l'Islam. ed.ACR.1997.
- MARCAIS,G. l'art en Algérie. Alger1906.
- L'art musulman. France.1981.
-PERRIER,M. Le livre du dinandier dessain ettolra. Paris 1979.
-VACHON,M. Industrie d'art indigène. Alger 1902.

المنارة للاستشارات
www.

Carving architectural decorations on mineral antiques in Algeria during the Ottoman period (copper)

dr. khadidja nechar

Abstract.

Algeria Knew during the Ottoman rule between the 16 et 18 century many handicrafts, which appeared in Algiers, and spread to other cities in the east and west. Boiler making was developed especially copper, including a high demand.

Many artistic effects appeared also on this industry, in terms of the elements and decorative themes; we recall of the carving architectural elements as example the copper trays.

المنارة للاستشارات

www.